سياسة الصين تجاه الاديان

بقلم شياو ون

ابدى القارئ النمسوى كريستان شلاقيفت والقارئ البيروى جوزى ر . كاسترو والقارئ البلجيكى ليون قو سينز فى رسائل لهم الى مجلتنا بعض الملاحظات حول الاعتقاد الدينى فى بلادنا ، وطلبوا منا ان ننشر مقالة حول هذا الموضوع . واستجابة لقرائنا الاعزاء قمنا بنشر هذه المقالة توضيحا لسياسة بلادنا تجاه الاديان .

— المحرر

تعتبر حرية الاعتقاد الدينى احد المبادئ الاساسية فى الصين . ويتمتع المواطنون بحرية الاعتقاد الدينى وحرية عدم الاعتقاد الدينى ، كما لهم حرية فى الاعتقاد بهذا الدين او بذاك ، فيحق للذين لا يعتقدون ان يعتقدوا كما يحق للمعتقدين ان يتخلوا عن اعتقادهم . ولك حرية فى الاعتقاد الدينى ولى حرية نشر اللادينية . لم يكن فى بلادنا دين رائد ، ولا نسمح ابدا بأن يكون ، نعامل الاديان كلها بمعاملة المساواة لا نحتقر ايا منها .

مبادىء ثابتة

ومنذ زمن بعيد يعود الى مرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة ، وضعت السلطات بقيادة الحزب الشيوعى الصينى سلسلة من المبادئ المتعلقة بمعالجة قضايا الاديان . واعلن الجيش الاحمر فى احد بياناته بعد وصوله الى شمالى شنشى فى مايو سنة ١٩٣٦ (فى تلك المنطقة عدد لا بأس به من المسلمين) ان الحكومة تحمى المساجد والائمة وحرية قومية الهوى فى الاعتقاد الدينى . وفى عشية انتصار حرب المقاومة ضد اليابان اكد الرفيق ماو تسى تونغ فى مقالته « حول الحكومة الائتلافية » (سنة ١٩٤٥) " ان مناطق الصين المحررة تسمح بوجود مختلف الاديان وفقا لمبدأ حرية العقيدة الدينية . ان جميع المعتنقين سواء للبروتستانتية او الكاثوليكية او الاسلام او البوذية او الاديان الاخرى يتمتعون بحماية حكومة الشعب ما داموا يلتزمون بقوانينها . ان لكل امرئ الحرية فى ان يعتنق دينا اولا يعتنق ولا يسمح بالاكراه ولا التمييز فى هذا الشأن . "

ان سياسة الحرية فى اعتقاد اديان قد نص عليها فى دستور جمهورية الصين الشعبية فى اوائل تأسيس الصين الجديدة .

وكانت منظمات المعتقدين فى الاديان تخضع لسيطرة الاستعمار فى الصين القديمة — شبه الاقطاعية والاستعمارية ولها صلات تربط بين المعابد والمساجد ونظام الاستغلال الاقطاعى .

اما بعد تحرير الصين كلها، فقد استقبل القادة الحزبيون والحكوميون مرارا وتكرارا الشخصيات الدينية ، وشجعوهم على معارضة الاستعمار وحب الوطن وتقديم المساهمات الكبرى فى سبيل خدمة بلادنا الاشتراكية . وأسست الاديان المختلفة فى بلادنا جمعياتها الدينية ومنظماتها الوطنية الخاصة بها ، وذلك حسب رغبات مقتنعيها وبتأييد الحكومة الشعبية ، ثم قامت هذه المنظمات بحملات وطنية لمقاومة الاستعمار وحب الوطن على نطاق واسع مما تغلب على الوضع الذى سيطرت فيه الطبقات المستغلة داخل الصين وخارجها على منظمات الاديان الصينية ، وألغيت الامتيازات الاقطاعية ونظام الاستغلال والاضطهاد فى مختلف جمعيات الاديان ، كما تم تحقيق الاستقلال والتمسك بزمام المبادرة وادارة جمعيات الاديان بنفسها بصورة ديمقراطية ، الامر الذى جعل كل النشاطات الدينية الشرعية تجرى بصورة طبيعية .

كانت سياسة الحرية فى الاعتقاد الدينى تتعرض فى فترة من الزمن لتشويشات لين بياو و" عصابة الاربعة " الشديدة . ومن اجل تطبيق هذه السياسة بصورة جدية ، نص البند ١٤٧ للقانون الجنائى الذى صدر قبل وقت ليس ببعيد والذى سيوضع موضع التنفيذ من اول يناير السنة القادمة على انه :"لو حرم عاملو الدولة حرية الاعتقاد الدينى الطبيعية للمواطنين او انتهكوا العادات التقليدية للاقليات القومية بصورة غير شرعية ، وكانت مسؤوليتهم خطيرة فيجب الحكم عليهم بالاعتقال او بالسجن لمدة اقل من سنتين ." كما نص البند ١٦٥ لهذا القانون على انه " اذا روج منجم او منجمة اشاعات او كسب موادا او اموالا عن طريق الكذب مستعينا بالخرافات حكم عليه بالسجن لمدة تتراوح اقل من سنتين او بحرمانه من ممارسة حريته او بوضعه تحت رقابة الغير ، واذا وصلت تصرفاته الى درجة خطيرة حكم عليه بالسجن لمدة بين سنتين و ٧ سنوات ." وتضمن هذه البنود حقوق المواطنين فى حرية الاعتقاد الدينى قانونيا . اما بالنسبة الى الذين يشوهون سياسة بلادنا حول معالجة قضايا الاديان ويقومون بنشاطات تخالف القانون وتؤذى نظام المجتمع ونظام الانتاج ونظام حياة الشعب ، فعلينا ان نثقفهم ونضع حدا لتصرفاتهم ونعاقب من يخالف قوانين الحكومة .

اديان وخرافات اقطاعية

يمكننا ان نسمى كل ما هو يعبد قوة فوق الطبيعة ولا يعرفها اى شخص بالخرافة ، ولكن لا يمكننا ان نقول : ان كل الخرافات هى الاديان .

اما الاديان فنعنى بها رئيسيا المسيحية والاسلام والبوذية وغيرها من الاديان العالمية . وتملك هذه الاديان بصورة عامة كتبا وعقائد ومراسم دينية ومنظمات اجهزتها . وترجع تواريخها الى مئات يمتد بعضها الى اكثر من الف سنة ، وقد اصبح نفوذها كبيرا وواسعا بين الجماهير .

اما الخرافات الاقطاعية فنعنى بها بصورة عامة المنجمة والمنجم والادوية والمياه الساحرة والتنجيم وعلاج المرض عن طريق طرد الشيطان ، وقراءة الوجه وكشف القدر وتحديد امكنة مساكن ومقابر حسب الخرافات وغيرها . وكان ذلك كله عملا خرافيا لا اساس له من الصحة ولايثق به كل من يملك معلومات علمية ابجدية . وتمنع حكومة الصين بصورة حازمة هذا النوع من النشاطات الخرافية الاقطاعية . وتثقف كل من خدعتهم هذه النشاطات من العمال .

ومن المعروف ان الحياة الواقعية معقدة جدا . وما زالت تجرى بين الجماهير النشاطات الخرافية التى نشأت منذ زمن بعيد مثل عبادة الجدود والثقة بوجود الروح والشياطين وغير ذلك . ولا تمنعها الحكومة بالاوامر الادارية بصورة عامة على شرط الا تضر نشاطات المجتمع السياسية والانتاجية ، بل تعالجها عن طريق الاقناع والتثقيف .

انسجام للقانون الواقعى

لماذا تضع حكومة الصين السياسة المذكورة آنفا ؟

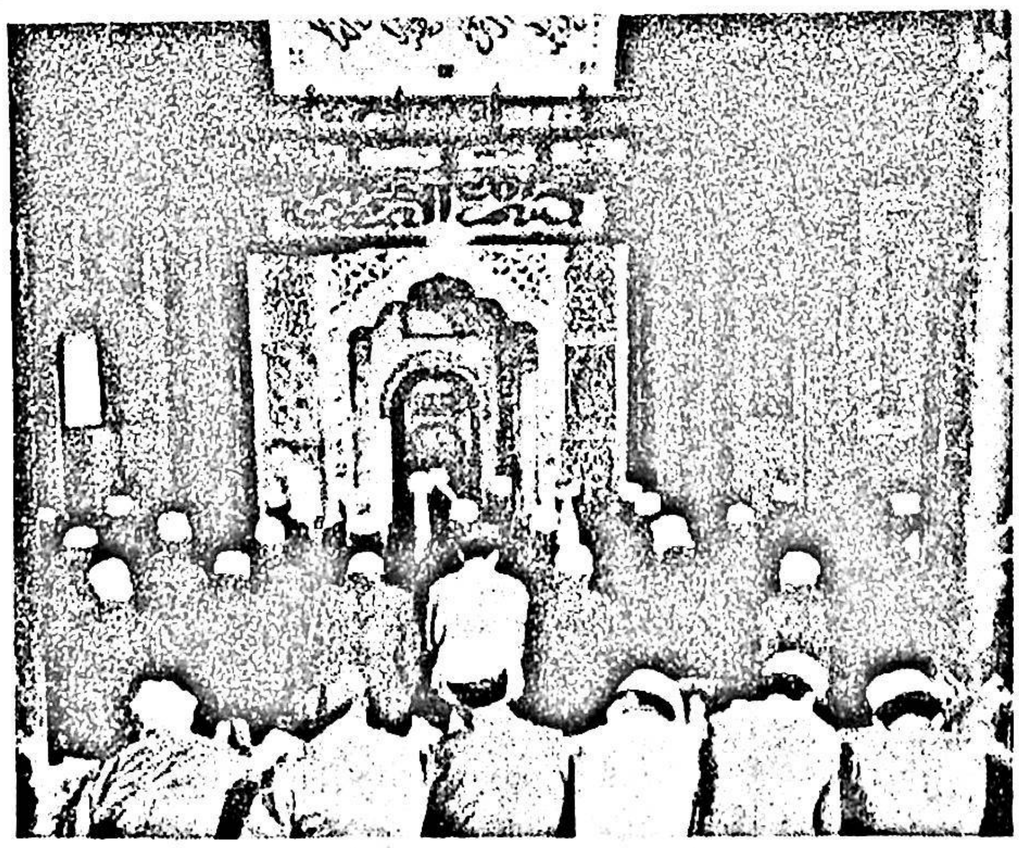

المسلمون فى مدينة تشنغتشو بمقاطعة خنان يقيمون صلاة عيد الاضحى فى احد المساجد

٢٧ ديسمبر ١٩٧٩

معلومات خلفية :

اصول الاديان فى الصين

فى الصين دين التاوية والبوذية والمسيحية (بما فيها الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية) والاسلام .

ونشأ دين التاوية فى الصين عندما كان ابناء قومية الهان فى العصور القديمة يعبدون اله السماء ويبحثون عن اكسير الحياة والعلاج عن طريق الشعوذة فى عهد اسرتى تشين – هان الملكيتين ، وتكامل هذا الدين فى مملكة هان الشرقية فى القرن الثانى الميلادى ، اى يعود تاريخه الى ما قبل ١٨٠٠ سنة .

اما البوذية فانتقلت من الهند الى الصين فى القرن الاول الميلادى عن طريق وسط آسيا ، واختلطت بعد ذلك مع الافكار والثقافة الصينية ، حتى ظهرت المذاهب البوذية المتميزة فى الصين بعد المملكتين الجنوبية والشمالية (من سنة ٤٢٠ – ٥٨٩ م) مثل مذهب تيانتايتسونغ ومذهب تشانتسونغ ، وعلاوة على ذلك انتقلت من الصين الى اليابان .

ويعتبر دين لاما دينا رئيسيا فى المناطق التى يسكن فيها التبتيون والمنغوليون . وكان نفوذ دين التاوية والبوذية فى تاريخ الصين كبيرا . وفى القرى كثير من الناس كانوا يعتقدون فى البوذية ويعبدون الاله لدين التاوية فى الوقت نفسه ، والى جانب هؤلاء ، عدد كبير من الناس كانوا لا يدخلون المعبد الا ولديهم طلب . لذلك يصعب علينا ان نحصى اعداد المعتقدين .

وفى وسط القرن السابع الميلادى وصل بعض العرب والتجار الفرس المقتنعين بالدين الاسلامى الى الصين بصورة متوالية نتيجة تطور المواصلات بين الشرق والغرب ، وأسسوا فى الصين مساجد . وحسب ما نص على اقدم كتاب تاريخ ، فان مبعوثا عربيا قابل امبراطورا صينيا فى اسرة تانغ الملكية ، فعرفه بالاسلامية وعادات وتقاليد العرب . فاتخذ المؤرخون هذه السنة علامة لانتقال الدين الاسلامى الى الصين . وقبل التحرير كانت اغلبية اهالى قوميات هوى وويغور وقازاق وازبيك وتاجك وتاتر وكركيز وسالا وغيرها فى شمال غربى الصين وشمالها تعتقد فى الاسلام . ويبلغ الآن عدد المسلمين فى الصين حوالى ١٠ ملايين.

اما بعض الطائفات المسيحية فانتقلت الى الصين فى اسرة تانغ الملكية (٦١٨ – ٩٠٧ م) الا ان انتشارها فى الصين قد توقف ولم يستمر . وفى سنة ١٥٨٢ وصل ماتيوركى (١٥٥٢ – ١٦١٠) المرسل الدينى لجمعية اليسوعى الايطالية الى الصين ، فجعل الكاثوليكية تنتشر فى الصين مرة اخرى . وقيل ان كنيسة الكاثوليكية الواقعة فى شيوان وو من فى بكين قد اسسها ماتيوريكى مع مبعوث دينى آخر يدعى يوحنا آدم شال فون بال (١٥٩١–١٦٦٦) وذلك فى اوائل القرن ١٧ .

بيد ان المسيحية لم تنتقل الى الصين على نطاق واسع الا فى القرن الاخير . وبعد حرب الافيون سنة ١٨٤٠ لعب كثير من مرسلين للكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية دورا سخيفا فساهموا فى عدوان الامبريالية والاستعمار على الصين ، الامر الذى اثار نضالات مستمرة بين ابناء الشعب لمعارضة المرسلين الامبرياليين ، واكبر هذه النضالات شهرة هو حركة يى خه توان فى سنة ١٩٠٠ .

وكان فى الصين عشية التحرير حوالى ثلاثة ملايين كاثوليكى ، و٧٠٠ الف بروتستانتى وعدد قليل من الارثوذكسيين .

لا يعتقد الماركسيون فى الاديان ، بل يعتبرونها مذهبا مثاليا مضادا تماما للمادية وللعلم ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يرى الماركسيون ان الاديان نتيجة تاريخية تملك قانونا واقعيا خاصا لنشوئها وتطورها وتلاشيها . كما يعتبرون الاديان نوعا من الايديولوجيات الاجتماعية ويرجع السبب الاصلى فى نشوئها ووجودها الى اضطهاد القوة الطبيعية واضطهاد القوة الاجتماعية ، والى جهل الناس بهذين النوعين من الاضطهاد ايديولوجيا واستنادهم الى قوة لا يعرفها اى شخص .

وفى المرحلة الاشتراكية ، ما زال الاساس الاجتماعى والاساس العقلى هما اللذان تقوم عليهما الاديان وسوف تظل الاديان موجودة الى فترة طويلة . واذا منعنا نشاطات دينية كما يحلو لنا فسوف لا يؤدى ذلك الا الى انتشار النشاطات الخرافية القديمة بصورة علنية او خفية .

ويعتبر اعتقاد الاديان مسألة ايديولوجية للجماهير وشؤونا شخصية . ويختلف الناس بعضهم عن الآخر فى اعتقاد الاديان او عدم اعتقادها وفى اصنافها . وذلك لم يعرقل اتحادهم فى سبيل تحقيق العصرنات الاربع بارادة واحدة . وعليه ، فلا يمكن للحكومة ان تجبر الناس على اعتقاد اى دين او عدم اعتقاده عن

طريق الاوامر الادارية . وفقط يمكنها ان تجد نتيجة صحيحة من الممارسات الاجتماعية المتناقضة بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد والخرافة والعلم والمثالية والمادية عن طريق النشر والتثقيف .

العمل حسب السياسة

كانت " عصابة الاربعة " تخرب سياسة الدولة المتعلقة بالاديان فى الايام التى عربدت فيها ، حتى اعلنت بأن الاديان " لم تعد موجودة " . وتعرض اعتقاد الاديان والحياة الدينية الشرعية لتدخلات الغير ، وذلك بسبب تأثير الخط اليسارى المتطرف الذى نفذته هذه العصابة . ونتيجة ذلك اغلق او تهدم عدد كبير من المساجد والمعابد . وتعرضت شخصيات دينية للظلم وحتى عادات الاقليات القومية وتقاليدها لم تفر من تدخلات فظيعة .

وقد وضعت سياسة حرية العقيدة الدينية موضع التنفيذ منذ ٣ سنوات واكثر بعد سحق " عصابة الاربعة " . وتتوالى الآن الشخصيات الدينية فى العودة الى معابدهم ومساجدهم للاشراف على الشؤون والنشاطات الدينية . كما اعادت جمعيات دينية نشاطاتها . ويجرى الآن تعمير معابد ومساجد مشهورة فتفتح تدريجيا لزوارها . واعيد الاعتبار الصحيح لكثير من الشخصيات المظلومة فى المجال الدينى ، واسترد بعضهم مناصبهم السابقة .

وانتخب مؤخرا كاثوليكيون فى منطقة بكين الدينية القسيس ميشيل فوتيشان اسقفا على اساس الاستقلال والتمسك بزمام المبادرة والاشراف المستقل والادارة الديمقراطية . وبعض الشخصيات المشهورة فى المجال الدينى مندوبون فى المجلس الوطنى الخامس لنواب الشعب او اعضاء فى المؤتمر الاستشارى السياسى . فلنأخذ مثلا ان بانتشان اردنى التبتى نائب رئيس اللجنة الخامسة للمؤتمر الاستشارى السياسى ، ووو ياو تسونغ رئيس لجنة حركة الذاتيات الثلاثة الوطنية للمسيحية * الراحل كان عضو اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب قبل وفاته . ومن بين مندوبى المجلس الوطنى الخامس لنواب الشعب واعضاء المؤتمر الاستشارى السياسى الوطنى اكثر من ٢٠ شخصا من الشخصيات فى المجال الدينى بما فيهم شخصيات اسلامية مشهورة ، وقد تشاوروا مع الآخرين حول شؤون الدولة الهامة وحظيت آراؤهم باحترام الغير .

ويجرى الآن تعمير ميادين تجرى فيها نشاطات دينية وستفتتح قريبا . كما تتخذ الحكومة سياسة الحماية لمعابد ومساجد مشهورة ، وحددت فى امكنة تجرى فيها نشاطات دينية آثارا رئيسية تحميها الدولة وعينت هيئة خاصة مسؤولة عن حمايتها وتعميرها .

٢٧ ديسمبر ١٩٧٩

وتنشط الآن ايضا اعمال الدراسة حول علم الاديان . وعين الرفيق تشاو بو تشو رئيسا فخريا لجمعية علم الاديان الصينية التى تأسست مؤخرا ورن جى يوى رئيسا لها ودينغ قوانغ شيون نائب الرئيس لها . وتأسس فى جامعة نانجينغ مبحث الاديان بغية تدقيق كتب مقدسة صينية واختيار وتجليد مقتطفات دينية غربية وكتب مسيحية مختارة ، كما يمارس الآن العلماء المسلمون الصينيون ترجمة القرآن الكريم ثانية . والى جانب ذلك يعمل الآن بعض علماء وهيئات الدراسة للاديان لترجمة وتأليف منهج تاريخ المسيحية وتاريخ البوذية الصينية وتاريخ العلاقات البوذية بين الصين والبلدان الخارجية وتاريخ الاسلام فى الصين وتاريخ الدين التاوى الصينى .

* لجنة حركة الذاتيات الثلاثة الوطنية للمسيحية فى الصين . فى سنة ١٩٥٠ قاد وو ياو تسونغ مدير جمعية الشبان المسيحيين الوطنية الصينية السابق حركة الذاتيات الثلاثة الوطنية للمسيحية اى حكم ذاتى واعتماد على الذات ونشر ذاتى (نشر الدين بأنفسهم) . ومنذ ذلك الوقت تأسست لجنة حركة الذاتيات الثلاثة الوطنية للمسيحية فى الصين .

المسجد الذى تم بناؤه عام ١٦٩٣ فى مدينة هوهيهوت